

خطاب جون فوستر دالاس

وزير خارجية أمريكا

في مجلس الشؤون الخارجية*

26 أغسطس / آب 1955

ألقى دالاس هذا الخطاب في مجلس الشؤون الخارجية وهو اتحاد أهلي يضم علماء السياسة وخبراء العلاقات الدولية وذلك بعد زيارته لمنطقة الشرق الأوسط. "من أول الأمور التي قمت بها كوزير للخارجية زيارة الشرق الأوسط فقد كنت أتطلع إلى أن أرى بنفسني تلك المنطقة الغنية وثقافتها وتقاليدها الدينية وإن كانت تمزقها الأحداث المريرة في الآونة الراهنة.

ولقد قمت في ربيع عام 1953 بزيارة مصر وإسرائيل والأردن وسوريا ولبنان والعراق والمملكة العربية السعودية وعندما قفلت راجعاً من رحلتي تحدثت عن الأثر الذي تركته تلك الزيارة في نفسي وعن الآمال التي منيت النفس بها نتيجة للمحادثات التي دارت بيني وبين زعماء وشعوب تلك المنطقة.

ولقد غدت بعض هذه الآمال حقيقة واقعة، ففي ذلك الوقت كانت قاعدة قناة السويس بؤرة الخلاف وكان من الممكن أن يتحول هذا الخلاف إلى مشاحنات. أما الآن فقد حلت مشكلة هذه القاعدة بفضل الجهود الصابرة التي اتسمت بروح التوفيق.

وثمة مشكلة أخرى كانت مثار اهتمام كثير من زعماء الشرق الأوسط هي كفالة الأمن لتلك المنطقة فقد كان من الواضح أن الدافع الفعال يعتمد على التدابير الجماعية، وأن هذه التدابير يجب أن تكون - حتى يمكن الاعتماد عليها- تقارباً طبيعياً بين أولئك الذين كانوا يحسون بالمصير المشترك في وجه ما كان يمكن أن يكون خطراً مشتركاً، ولقد أحرزنا هنا أيضاً تقدماً مشجعاً.

*المصدر: "ملف وثائق فلسطين: مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية"، الجزء الثاني من عام 1950 إلى عام 1969 (القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، 1969)، ص 1165 - 1169.

وثمة مشكلة ثالثة أثارها الانتباه هي الحاجة إلى المياه اللازمة لري الأراضي، ولقد ذكرت في تقريرتي أن من الممكن استغلال الأنهار التي تجري في وادي الأردن في إحالة هذا الوادي إلى مصدر للرزق لا للنزاع، وعمد السفير مستر اريك جونستون منذ ذلك الوقت إلى إجراء مباحثات مع حكومات الدول التي يجري نهر الأردن في أراضيها، وأبدت هذه الحكومات استعداداً مشجعاً لقبول مبدأ الترتيبات المنسقة لاستغلال هذه المياه، ولقد قطعت المشروعات التي وضعت لاستثمار وادي نهر الأردن شوطاً كبيراً إلى الأمام كما أن السفير جونستون يقوم الآن بزيارته الرابعة للبلدان التي يهتما بالقيام بجهد في سبيل إزالة الخلافات البسيطة التي ما زالت قائمة.

ولقد تمت فعلاً - كما ترون - البداية بأن أرحنا العقبات التي تقف في طريق أماني شعوب منطقة الشرق الأوسط.. وأملتي - وهو الأمل الذي سأحدث عنه الآن - أن يكون الوقت قد حان لأن نجد النفع في التفكير في منحى المزيد من الخطوات نحو الاستقرار والهدوء والتقدم في الشرق الأوسط.

ما هي المشكلات الرئيسية الباقية؟ إنها تلك التي لم تحلها اتفاقات الهدنة التي عقدت في عام 1949 وأنهت القتال بين الإسرائيليين والعرب وقبل أن أتعرض لهذه المشاكل على وجه التحديد، أود أن أثنى ثناء عاطراً على ما قامت به الأمم المتحدة في سبيل المحافظة على الهدوء وخدمة الإنسانية في تلك المنطقة. وعلى الرغم من هذه الجهود التي لا غنى عنها لا تزال هناك ثلاث مشكلات تحتاج بشكل بارز إلى حل.

فالمشكلة الأولى هي مأساة التسعمائة ألف لاجئ الذين كانوا يعيشون من قبل في الإقليم الذي تحتله الآن إسرائيل.

والمشكلة الثانية هي ذلك الدثار من الخوف الذي يخيم فوق الشعبين العربي والإسرائيلي على السواء.. فالدول العربية تخشى أن تسعى إسرائيل بوسائل العنف إلى التوسع على حسابها. ويخشى الإسرائيليون أن يحشد العرب بالتدرج قوات متفوقة يستخدمونها لإلقاءهم في البحر. كما أن الإسرائيليين يعانون الآن من التدابير الاقتصادية التي اتخذت ضدهم.

والمشكلة الثالثة هي عدم وجود حدود ثابتة دائمة بين إسرائيل وجاراتها من الدول العربية وهناك مشاكل أخرى هامة، ولكنه إذا أمكن معالجة هذه المشاكل الرئيسية الثلاث أصبح الطريق ممهداً لحل المشاكل الأخرى.

ويبدو أن هذه المشاكل الثلاث قابلة للحل ولا ريب في أن الحاجة تدعو إلى ذلك.
إن المصادمات التي تقع على الحدود تؤدي بالأرواح أسبوعياً تقريباً وتضرم جذوة روح
من البغضاء هي الآن خطيرة بالفعل.

ولقد كانت الآلام التي يعانيتها اللاجئين العرب تفوق حد الاحتمال والمخاوف التي تعتمل
في كلا الجانبين تعرقل إلى حد كبير التقدم الاقتصادي والاجتماعي، كما أن الزعماء المسؤولين
يجدون من العسير عليهم أن يوجهوا كل اهتمامهم ونشاطهم إلى المهمة الإيجابية .. مهمة خلق
ظروف نمو سليم.

والموقف على خطورته الراهنة قد يتطور إلى أسوأ إذا لم يطرأ عليه التحسن، فإن الشر يقود
إلى شر آخر، والسبب والنتيجة أمران من العسير التمييز بينهما، فإذا ساء الجو أمكن أن يحجب
الحكم السليم فيظهر في مظهر الحسن ما ينطوي على الخطر.

والواقع أن كلا الفريقين يقاسي كثيراً من الموقف الحالي، كما أن كليهما يتلهف إلى ما
يقدر أن يكون حلاً عادلاً، منصفاً للمشكلة. على أنه لم يكن في استطاعة أي منهما الاهتمام إلى ذلك
السبيل.

قد يمكن هذا الموقف أصدقاء الطرفين من أن يسهموا في سبيل الصالح العام. وواقع الأمر
أن هذا حق بوجه خاص لأن المنطقة في حد ذاتها قد لا تكون مالكة لكافة العناصر التي تحتاج
إليها تهيئة ظرف كامل مبكر للأمن والرخاء.

ولقد والت الولايات المتحدة - كصديقة لكل من العرب والإسرائيليين - الموقف تفكيراً
عميقاً متمسماً بالقلق. ولقد وصلت إلى بعض الاستنتاجات التي قد تساعد - إذا ما خرجت إلى حيز
التنفيذ - الرجال ذوي النوايا الحميدة داخل المنطقة على القيام بجهد إنشائي جديد. وأنا أطرق
هذا الأمر بتحويل من الرئيس أيزنهاور.

1 - إن وضع نهاية لمأساة اللاجئين الذين يبلغون تسعمائة ألف يتطلب تمكين هؤلاء
القوم الذين لا حامي لهم من استئناف حياة كريمة محترمة، وذلك عن طريق إعادة إسكانهم،
وإعادتهم إلى أوطانهم في الحدود الممكنة عملياً ولتحقيق هذه الغاية، هناك حاجة إلى تهيئة
المزيد من الأرض القابلة للزراعة حيث يستطيع اللاجئين أن يجدوا المسكن الدائم وأن يكسبوا
رزقهم عن طريق عملهم الخاص.

ومن حسن الطالع أن ثمة مشروعات عملية لاستثمار المياه تستطيع أن تجعل هذا الأمر ممكناً.

وتعويض إسرائيل للاجئين أمر مستحق، على أنه من الممكن أن تكون إسرائيل غير قادرة - دون معونة الغير - على أن تقدم التعويضات الكافية وإذا كان الأمر كذلك فقد يعقد قرض دولي لتمكينها من دفع التعويضات المستحقة لمثل هذا الغرض والخليقة بأن تمكن الكثير من اللاجئين من إيجاد طريقة حياة أفضل لأنفسهم.

وفي هذه الحالة سيوصي الرئيس أيزنهاور بمساهمة الولايات المتحدة مساهمة كبيرة في مثل هذا القرض كما أنه سيوصي بأن تسهم الولايات المتحدة في تحقيق مشروعات الري واستثمار المياه الخليقة بأن تسهل - عن طريق مباشر أو غير مباشر - إعادة توطين اللاجئين.

وسوف تكون تلك المشروعات بالطبع أكثر من مجرد معونة لإعادة توطين اللاجئين. فمن شأنها أن تمكن شعوب هذه المنطقة من التمتع بحياة أفضل ثم إن حل مشكلة اللاجئين يساعد على القضاء على الحوادث المتكررة التي ابتليت ونكبت بها القرى الواقعة على جانبي الحدود.

2 - أما المشكلة الأساسية الثانية التي أشرت إليها فهي مشكلة الفرع، فإن هذا الفرع من الضخامة بحيث لا تكاد دول المنطقة وحدها تستطيع أن تحل محل هذا الفرع شعوراً بالاطمئنان. فلا يمكن أن يتحقق الأمن في هذه المنطقة - شأنها في ذلك شأن كثير من المناطق الأخرى - إلا باتخاذ تدابير جماعية لها من القوة ما يردع العدوان.

لقد فوضني الرئيس أيزنهاور أن أقول أنه إذا أتاحت حلول للمشاكل الأخرى المتعلقة بالموضوع فإنه سيوصي عندئذ بأن تشترك الولايات المتحدة في ارتباطات تعاهدية رسمية لمنع أو ردع أية محاولة من أي من الجانبين لأن يعدل الحدود بين إسرائيل وجاراتها الدول العربية بالقوة، وأمل أن تكون دول أخرى على استعداد للانضمام إلى مثل هذا الضمان للأمن وأن يكون هذا تحت رعاية الأمم المتحدة.

فبمثل تدابير الأمن الجماعية تلك تستطيع هذه المنطقة أن تستريح من تلك المخاوف الشديدة التي تساور كلا الجانبين، وبذا تتخلص تلك العائلات التي تقيم حول الحدود من وطأة الإحساس بأن الموت الزؤام قد يدهمها على حين غرة، ولن تكون هناك حاجة لشعوب هذه المنطقة التي تعيش على مستوى منخفض جداً من المعيشة أن تتحمل عبء ما قد يصبح تسابقاً في التسلح

إذا لم ينقلب إلى حرب بالفعل. كما أن الزعامة السياسية في تلك المنطقة تستطيع أن تركز جهودها للقيام بمهام إنشائية.

3 - وإذا ما كان هناك ضمان للحدود، فإن من الطبيعي أن يسبق هذا اتفاق على هذه الحدود، وهذه هي المشكلة الكبرى الثالثة فالحدود الفاصلة الحالية بين إسرائيل والدول العربية قد رسمت بموجب اتفاقات الهدنة التي عقدت في سنة 1949 ولم تكن قد رسمت لتكون حدوداً دائمة في كل حال من الأحوال، ولكنها عكست بصورة جزئية حالة القتال في تلك المنطقة. ومن المسلم به أن مهمة تخطيط الحدود الدائمة مهمة شاقة، فليس لدينا دليل واحد نسترشد به ونحن على ثقة منه. فقد يبدو على ما يبديه كل من الفريقين من حجج متضاربة أن له وجاهته.

ومما يزيد الأمر صعوبة أنه حتى الأقاليم القاحلة اكتسبت أهمية عاطفية. ولا شك أن كفة الفوائد الإجمالية للإجراءات التي أجملت هنا أرجح بكثير من كفة مساوئ التعديلات اللازمة لتحويل خطوط الهدنة المحفوفة بالخطر إلى حدود يسودها السلام. وعلى الرغم من الدعاوى والعواطف المتضاربة، فإنني أعتقد أن من المستطاع الوصول إلى سبيل للتوفيق بين المصالح الحيوية لكافة الأطراف. والولايات المتحدة مستعدة للمساعدة في السعي في سبيل حل إذا رغب في ذلك أطراف النزاع.

4 - وإذا أمكن الوصول إلى حلول للمشكلات الأساسية كمشكلة اللاجئين ومشكلة الخوف، ومشكلة الحدود، لكان من المستطاع إيجاد حلول للمشاكل الأخرى - وهي اقتصادية في الأكثر - تلك المشاكل التي تنشر الآن لهيب العداوة والتذمر.

ولكان من المستطاع كذلك الوصول إلى اتفاق بشأن وضع القدس، ولأمكن للولايات المتحدة أن تؤيد بحث الأمم المتحدة لهذه المشكلة من جديد.

لم أحاول أن أعدد كافة المشكلات التي تدعو الحاجة إلى حلها، ولم أحاول أن أفصل الصورة التي يمكن أن يكون عليها حل أي من هذه العناصر ولكنني حاولت أن أبين أن هذه الاحتمالات لا تحتاج من أية دولة أن تقوم بأي عمل يكون في غير مصلحتها، سواء قيست هذه المصلحة بمقياس القوة المادية أو بمقياس الكرامة الوطنية. وأعتقد أنني أوضحت أن حكومة الولايات المتحدة مستعدة لتوسيع هذه الاحتمالات بمساهمة من عندها إذا رغب في ذلك أولو الشأن.

إن لكل من طرفي هذا الصراع ماضيه الكريم، وتراثه المفعم بما أدى للمدنية من خدمات، فكل منهما عزز تقدم العلوم والفنون وكل منهما يمثل ديناً من أعظم الأديان وكلاهما يريد أن يحقق حياة كريمة لشعبه، وأن يساهم في نهضة هذا القرن، ويحمل نصيبه فيها.

ألا نستطيع أن نأمل في هذا الوقت الذي تبذل فيه الجهود العظيمة لتخفيف حدة التوتر الذي دام فترة طويلة بين العالمين السوفييتي والغربي – ألا نستطيع أن نأمل أن تسود في الشرق الأوسط روح مماثلة؟ هذا ما نرجو، فإن روح الوفاق وحسن الجوار أجدى على الشعوب والأمم. وإذا كان هذا ينطوي على بعض الأعباء، فإنها أعباء ستشاطر فيها الولايات المتحدة، كما تشاطر في الارتياح الذي سيعم جميع الشعوب إذا ما استطاعت السعادة والرضاء وحسن النية أن تطرد البغضاء والبؤس عن تلك الشعوب التي تكن لها الاحترام والتكريم.”

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbrt@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه الوثيقة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/resources/documents>